

معجزة الأوراق!

الهجرة إلى أمريكا حلم يراود الكثيرين، لكنه لا يتحقق سوى للقلائل منمن يحالفهم الحظ ويغزون بقرعة «الغرين كارد» أو يحصلون على واحدة من تأشيرات الدخول المختلفة إلى الولايات المتحدة أو يتزوجون بمن يحمل الجنسية الأمريكية. المهاجرون المغاربة، الذين يحصلون على فيزا ويأتون إلى هذه البلاد، يحاولون تسوية وضعيتهم القانونية مباشرة بعد اجتيازهم الحدود، وتتحول «لوراق» إلى هاجس يؤرقهم ويطير النوم من جفونهم ولا يرتحون حتى يتوصلا ببطاقة الإقامة البلاستيكية البيضاء الصغيرة التي مازالت تسمى بالبطاقة الخضراء أو «الغرين كارد» رغم أن لونها تغير منذ عقود.

لكن فرحة الحصول على بطاقة الإقامة سرعان ما تذوب عندما يبدأ مسلسل جديد وطويل اسمه الحصول على الجواز الأمريكي، ويبداً بتباعنة الكثير من الأوراق والخصوص لاستجوابات موظفي دائرة الهجرة الثقلاء وحفظ أسئلة الامتحان المتعددة واجتيازه برجفة في الأطراف وأمل في القلب... ولا يتسلم المهاجر جوازه الأزرق إلا بعدما يشعر بأن «روحه طلعت»، كما يقول المصريون.

لكن بعض المهاجرين المغاربة لا يسعدهن كثيرا بانتهاء محنتهم مع «لوراق»، فمباشرة بعد حصولهم على الجواز الأزرق يعاودون طرق باب دائرة الهجرة من أجل تباعنة طلبات التحاق أشخاصهم أو شقيقاتهم بهم، وهكذا يبدأ مسلسل جديد آخر من الانتظار والتعذيب، لكنه هذه المرة يكون مختلفا لأن هذه المسترة تأخذ وقتا طويلا يمتد لما بين خمس وثمانية سنوات!

نعم، خمس أو ثمان سنوات هي المدة التي قد تستغرقها عملية التحاق أحد أفراد الأسرة بقريبه المقيم في أمريكا أو ما يسمى بالتجمع الأسري، وهذا ما يتسبب في مأس متعددة تنتهي أحيانا بقطع حبل الأخوة بين قريبيين وإنها علاقتها إلى الأبد.

حكايات المهاجرين المغاربة الذين تسببت لعنة «لوراق» في إنهاء علاقتهم بأسرهم في المغرب عديدة ولا تختلف سوى في التفاصيل، لكنها تشترك جميعا في الأسباب التي أدت إلى ذلك. فالمهاجر لا يسوّي وضعيته هنا إلا بعد سنوات طويلة من «الترخيص» والرعب من فكرة الوقوع بين أيدي إدارة الهجرة والطرد إلى المغرب، ويشتري إقامته بالزواج من مواطنة أمريكية تكون غالبا عاطلة عن العمل وأحيانا مدمنة على الخمر أو المخدرات أو الأكل، ويدفع لها الآلاف من الدولارات والكثير من رجولته وكرامته، ومع ذلك فإنه أول ما يحصل على الأوراق القانونية، يتلقى مكالمة هاتفية من المغرب تكون من الأم أو الأب ويكون ملخصها ما معناه: «ها السخط ها الرضا إيلا ما ديتيش خوتك لعندك»، وعندما يحاول المهاجر المكوي بنيران الغربة شرح تعقيدات الحصول على الأوراق وطول المدة التي سيستغرقها الأمر، فإن جواب الأهل يكون جاهزا: «راه غير أنتا اللي ما فنديكش... شوف محمد ولد الجيران عاد مشى العام اللي فات ودا ختنو وربعة ديار خوتو»!!

وهنا يبدأ مسلسل آخر من الضغط النفسي على المهاجر المغربي الذي يتلقى مكالمات هاتفية لا متناهية من المغرب تبدأ بـ«كيداير» وتنتهي بـ«واش مازال ما بغاو هاذ الوراق يخرجو، راني عيت ما نساين؟».

يحكى مهاجرون مغاربة أنهم يواجهون الموقف بصبر كبير ويحاولون شرح المراحل التي يمر منها طلب لم الشمل، كما يصفونه، لكن بعضهم سرعان ما يفقد أعصابه بعد فترة ويبدأ في تجاهل اتصالات أفراد أسرته إلى أن «يخرجوا للعيوب معاه» ويتهموه بنسائهم والتخلص منهم، ويدخلون معه في مزاحمات كلامية تنتهي بقطع العلاقة الأسرية لسنوات طويلة ولا تعود إلا بعد تحقيق معجزة «لوراق» وتوصيل الأخ أو الأخت في المغرب باستدعاء من القنصلية الأمريكية للحصول على «الغرين كارد».